

مقدمة في علم النحو العربي



نظم

د. عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ نِعْمَانَ الْعَوَاضِي

مقدمة في علم النحو العربي

د. عبد الله العواضي



سنناول في هذه المقدمة ثلاثة أمور:

أولاً: المبادئ العشرة لعلم النحو:

أ- حد النحو:

النحو لغة: "مصدر أريد به اسم المفعول أي: المنحو، كالتخلق بمعنى المخلوق. وخصته غلبة الاستعمال بهذا العلم، وإن كان كل علم منحواً، أي: مقصوداً، كما خصت الفقه بعلم الأحكام الشرعية الفرعية وإن كان كل علم فقهاً، أي: مفقوهاً، أي: مفهوماً" (١).

وقال ابن جني: " وهو في الأصل مصدر شائع، أي: نحوت نحواً؛ كقولك: قصدت قصداً، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم" (٢).

وهو يأتي في اللغة لمعان:

الأول: القصد، نحو: نحوت نحوك، أي: قصدت قصدك.

الثاني: المثل، نحو: مررت برجل نحوك، أي: مثلك.

الثالث: الجهة أو الناحية، نحو: توجهت نحو البيت، أي: جهة البيت أو ناحية البيت.

الرابع: المقدار، نحو: له عندي نحو ألف، أي: مقدار ألف.

الخامس: القسّم أو النوع، نحو: هذا على أربعة أنحاء، أي: أقسام أو أنواع.

السادس: بعض الشيء، نحو: أكلت نحو دجاجة، أي: بعض دجاجة.

السابع: الطريق، نحو: هذا نحو المدينة، أي: طريقها.

الثامن: الرد والصرف والتحريف والميل، نحو: نَحَا بَصْرَهُ إِلَيْهِ يَنْحَاهُ وَيَنْحُوهُ نَحْوًا: رَدَّهُ وَصَرَفَهُ، وَنَحَا الشَّيْءَ يَنْحَاهُ وَيَنْحُوهُ إِذَا حَرَّفَهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ النُّحْوِيُّ؛ لِأَنَّهُ يُحَرِّفُ الْكَلَامَ إِلَى وُجُوهِ الْأَعْرَابِ، وَيُقَالُ: نَحَوْتُ بَصْرِي إِلَيْهِ أَنْحَاهُ وَأَنْحُوهُ صَرَفْتُهُ فَإِذَا عَدَلْتَهُ عَنْهُ قُلْتُ: أَنْحَيْتُهُ عَنْهُ وَنَحَيْتُهُ (٣).

(١) شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ١٩).

(٢) الخصائص (١/ ٣٥).

(٣) ينظر: الخصائص (١/ ٣٥)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/ ٢٦٤)، شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ١٩)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ٢٤).



قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني:

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ آتَتْ لُغَةً = جَمَعْتُهَا ضَمْنَ بَيْتٍ مُفْرَدٍ كَمَا
قَصْدٌ، وَمِثْلٌ، وَمِقْدَارٌ، وَنَاحِيَةٌ = نَوْعٌ، وَبَعْضٌ، وَحَرْفٌ، فَاحْفَظِ الْمَثَلَا (١).

وَأَوْصِلْهَا بَعْضُهُمْ إِلَى عَشْرَةِ مَعَانٍ فَقَالَ:

النَّحْوُ فِي لُغَةٍ: قَصْدٌ، كَذَا مِثْلٌ = وَجَانِبٌ، وَقَرِيبٌ، وَبَعْضٌ، مِقْدَارٌ
نَوْعٌ، وَمِثْلٌ، بَيَانٌ، بَعْدَ ذَا عَقْبٍ = عَشْرُ مَعَانٍ لَهَا فِي الْكُلِّ أَسْرَارٌ (٢).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ جَامِعًا بَعْضَ الْمَعَانِي لِكَلِمَةِ "نَحْوٌ" لُغَةً وَمِثْلًا لَهَا:

نَحُونَا نَحْوَ دَارِكَ يَا حَبِيبِي = وَجَدْنَا نَحْوَ أَلْفٍ مِنْ رَقِيبٍ

وَجَدْنَا هُمْ جِيَاعًا نَحْوَ كَلْبٍ = تَمَنَّوْا مِنْكَ نَحْوًا مِنْ شَرِيبٍ (٣).

اصطلاحاً: عرفه ابن جني بقوله: " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها" (٤).

ولكن هذا التعريف لا يمنع دخول علم الصرف فيه؛ لتضمنه بعض مباحثه. وعرفه العيني بقوله: " والنحو في اصطلاح القوم: معرفة كيفية كلام العرب وتصرفاتهم فيه، وما يستحق كل نوع منهم من الإعراب منه؛ كرفع الفاعل ونصب المفعول، وجر المضاف" (٥).

وعرفه شهاب الدين الأندلسي بقوله: " علمٌ به يُعرف أحوالُ أو آخرِ الكلمات العربية إفراداً وتركيباً" (٦).

المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (١ / ١٨٥)، تهذيب اللغة (٥ / ١٦٣)، تاج العروس (٤٠ / ٤٥)، المخصص (١ / ١١٢).

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (١ / ١٠).

(٢) فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لأبي عبد الله الفاسي (١ / ٢٢٩).

(٣) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣ (١٥٧ / ٣٠٠).

(٤) انحصاص (١ / ٣٥).

(٥) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (١ / ١٨٥).

(٦) الحدود في علم النحو (ص: ٤٣٤).



وعرفه ابن كمال باشا بقوله: " علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم من حيث الإعراب والبناء" (١).

ب- موضوعه:

الكلمات العربية من حيث البحث عن أحوال أواخرها، أو من حيث تركيبها وأحوال أواخرها.

ج- ثمرته:

للنحو ثمرات كثيرة، منها:

أ- صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي.

ب- فهم المراد من نصوص القرآن والسنة وحفظ اللسان عن الخطأ فيهما.

قال الخطيب البغدادي: " وَاللَّحْنُ فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ حَافِظًا لَهُ، وَلَا عَالِمًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ حُفِظَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَاةِ" (٢) ثم ساق أمثلة. وقال سالم بن قتيبة: " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ هَبِيرَةَ الْأَكْبَرِ فَجَرَى الْحَدِيثَ حَتَّى جَرَى ذِكْرُ الْعَرَبِيَّةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا اسْتَوَى رَجُلَانِ دِينَهُمَا وَاحِدًا، وَحَسَبَهُمَا وَاحِدًا، وَمُرُوءَتُهُمَا وَاحِدَةً، أَحَدُهُمَا يَلْحَنُ، وَالْآخَرُ لَا يَلْحَنُ، إِنْ أَفْضَلَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَلْحَنُ. قُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ هَذَا أَفْضَلَ فِي الدُّنْيَا؛ لِفَضْلِ فَصَاحَتِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ، أَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ مَا بَالُهُ فَضَّلَ فِيهَا؟! قَالَ: إِنَّهُ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَإِنَّ الَّذِي يَلْحَنُ يَجْمَلُهُ لِحْنُهُ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ مَا هُوَ فِيهِ. قَالَ: قُلْتُ: صَدَقَ الْأَمِيرُ وَبَرَّ" (٣).

ومتى جاء الحديث ملحوناً من بعض الرواة فإنه يجب تصويبه؛ حتى يصح فهم المراد منه، قال الخطيب: " وَالَّذِي نَذَهَبُ إِلَيْهِ: رِوَايَةُ الْحَدِيثِ عَلَى الصَّوَابِ، وَتَرْكُ اللَّحْنِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَمِعَ مَلْحُونًا؛ لِأَنَّ مِنَ اللَّحْنِ مَا يُحِيلُ الْأَحْكَامَ، وَيُصِيرُ الْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ حَرَامًا، فَلَا يُلْزَمُ اتِّبَاعَ السَّمَاعِ فِيْمَا هَذِهِ سَبِيلُهُ، وَالَّذِي

(١) الفلاح شرح مراح الأرواح في علم الصرف (ص: ٣).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥).



ذَهَبْنَا إِلَيْهِ قَوْلَ الْمُحَصِّلِينَ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ" (١) ثم ساق بسنده ما يدل على قوله، فمن ذلك:

قال الوليد بن مسلم: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: "لَا بَأْسَ بِإِصْلَاحِ الْخَطِّ وَاللَّحْنِ وَالتَّصْحِيفِ فِي الْحَدِيثِ".

وقال الأوزاعي: "لَا يَصْلِحُ اللَّحْنُ وَالْخَطُّ وَالتَّحْرِيفُ فِي الْحَدِيثِ".

وقال محمد بن علي الأجرى: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنَ الْأَشْعَثِ يَقُولُ: "كَانَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ يَقُومُ كُلَّ لَحْنٍ فِي الْحَدِيثِ".

وقال أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول: "سَأَلْتُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الرَّعْفَرَانِيَّ عَنِ الرَّجُلِ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مَلْحُونًا أَيْعَرِبُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ" (٢).

قال شعبة: "مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ فَلَمْ يَبْصُرِ الْعَرَبِيَّةَ فَثَلَاهُ مِثْلَ رَجُلٍ عَلَيْهِ بَرْنَسٌ وَليْسَ لَهُ رَأْسٌ" (٣).

وقال ابن الأثير: معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث؛ لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب (٤).

ج- فهم المتكلمين بالعربية وإدراك مقاصد كلامهم بلا لبس.

د- أن النحو طريق لفهم سائر العلوم المدونة بالعربية، فهو آلة لفهمها، ولا يستغنى عنه في معرفتها.

قال وكيع: "أَتَيْتُ الْأَعْمَشَ أَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، وَكُنْتُ رُبَّمَا لَحَنْتُ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سُفْيَانَ، تَرَكْتَ مَا هُوَ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْحَدِيثِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَوْلَى مِنَ الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: النَّحْوُ. فَأَمَلِي عَلَى الْأَعْمَشِ النَّحْوُ ثُمَّ أَمَلِي عَلَى الْحَدِيثِ" (٥).

وقال عبد الله بن سعيد الرحبي: سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ: "إِذَا كَتَبَ لِحَانٌ، فَكَتَبَ عَنِ اللَّحَّانِ لِحَانَ آخَرَ، فَكَتَبَ عَنِ اللَّحَّانِ لِحَانَ آخَرَ، صَارَ الْحَدِيثُ بِالْفَارِسِيَّةِ" قال الخطيب: فَيَنْبَغِي لِلْمُحَدِّثِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّحْنَ فِي رِوَايَتِهِ لِلْعَلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلَنْ

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٢).

(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٣).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٦).

(٤) جامع الأصول (١/ ٣٧).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٦).



يَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ دَرْسِهِ النَّحْوَ وَمُطَالَعَتِهِ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ" (١).
 وقال الكسائي: "من تجرّ في النحو اهتدى إلى جميع العلوم. وقال: لا أسأل عن
 مسألة في الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو" (٢).
 وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: "النَّحْوُ فِي الْعِلْمِ كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ" (٣).
 هـ- اكتساب الهيبة والجمال بين المتكلمين بالعربية.
 فعن سعيد بن سلم قال: "دخلت على الرشيد فبهرتني هيبة وجمالاً، فلها لحن خفّ
 في عيني. وعن الشعبي قال: حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم" (٤).
 وعن أبي توبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: تكلم أبو جعفر
 المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن، فصرّ الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى
 أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أف لهذا، ما هذا؟ ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال
 الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر (٥).
 وأنشد المبرد:

النَّحْوُ زِينٌ وَجَمَالٌ يَلْتَمَسُ = يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ بِالنَّفْسِ
 صَاحِبُهُ مَكْرَمٌ حَيْثُ جَلَسَ = هَلْ يَسْتَوِي رَبُّ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ؟ (٦).

وقال بعضهم:

لو لم يكن في النحو إلا أنه = يذر الضئيل من الرجال مهيباً
 يُخَشَى التَّكَلُّمُ حَيْثُ حَلَّ كَأَنَّمَا = أَضْحَى بِأَفْوَاهِ الْأَنَامِ رَقِيباً (٧).

وقال علي بن بسام:

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ = وَعنوانه فَانظُرْ بِمَاذَا يَعْنُونَ
 فَلَا تَعُدْ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ = يُخْبِرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ

- (١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٤).
- (٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/ ٤٠٧).
- (٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٨).
- (٤) معجم الأدباء (١/ ٢٥).
- (٥) معجم الأدباء (١/ ٢٦).
- (٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٨).
- (٧) غرر الخصاص الواضحة (ص: ٢٢١).



ويعجبني زيُّ الفتى وجماله = فيسقط من عيني ساعة يلحنُ (١).

وقال الكسائي:

وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ	إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يَتَّبَعُ
مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا	وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ فَتَى
مَنْ جَلَسَ نَاطِقِي أَوْ	فَاتَقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ
هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا	وَإِذَا لَمْ يَبْصُرِ النَّحْوَ الْفَتَى
كَانَ مِنْ نَصَبٍ وَمِنْ خَفْضٍ	فَقَرَاهُ يَنْصَبُ الرِّفْعَ وَمَا
صَرَفَ الْإِعْرَابَ فِيهِ	يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا
وَإِذَا مَا شَكَ فِي	وَالَّذِي يَعْرِفُهُ يَقْرُوهُ
فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَنَ	نَاطِرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ
مِنْ شَرِيفٍ قَدْ رَأَيْتَاهُ	كَمْ وَضِيعَ رَفَعَ النَّحْوُ وَكَمْ

وقال ابن الطَّيِّب:

والمراء تكرمه إذا لم	النحو يسقط من لسان الألكن
فأجلها حقاً مقيم الألسن	وإذا التمت من العلوم أجلها
فتراه يسقط من لحاظ الأعين	لحن الشريف يحطه عن قدره
نال النباهة باللسان المعلن	وترى الدنيا إذا تكلم معرباً
فالنحو زين العالم المتفنن	فاطلب هديت ولا تكن متأبياً
في كل صنف من طعام	والنحو مثل الملح إن ألقيته

د - فضله :

اللغة العربية رأس مال الكاتب والمتكلم، وأسس مقاله، وكنز إنفاقه، والنحو هو ميزان تقويمها وقانونها الذي تُحكَّم به في كل صورة من صورها، وهو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرِّع والمجتهد، والمدخل إلى

(١) معجم الأدباء (٤/ ١٨٦٥).

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٢٦٧)، تاريخ بغداد وذيوله (١١/ ٤١٠).

(٣) التمثيل والمحاضرة (ص: ١٦١)، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٦٧).



العلوم العربية والإسلامية، ومركب الإفهام الذي لا يكبو، وسيف القول الذي لا ينبو، وحلي الكلام، وهو له كالملاح للطعام.

وهو السبيل الذي به تمكنا من نظم العربية ونثرها كما كان أربابها السابقون، وبه أطلق لساننا في العصور المختلفة صحيحاً فصيحاً كما أطلق لسانهم، وأجري كلامنا في حدود مضبوطة سليمة كالتي يجري فيها كلامهم، وإن كان ذلك منهم طبيعة، ومنا تطبعاً. = والنحو مفتاح العلوم والطريق الأول لفهمها.. عن أبي زيد النحوي قال: "كان الذي حداني على طلب الأدب والنحو أني دخلت على جعفر بن سليمان فقال: ادنه فقلت: أنا دني. فقال: لا تقل -يا بني-: أنا دني، ولكن قل: أنا دان" (١).

إن هذا العلم الشريف حمل أهله المحبين له على الحث على تعلمه ومعرفة أهميته، ودعاهم إلى الحفاظ عليه من صيالة اللحن والوقوف في وجه اللحنين بالنصيحة. مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون فيخطئون في رميهم فقال: "بئس ما رميتم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا قوم متعلمين، فقال: والله لذنبكم في لحنكم أشد علي من خطئكم في رميكم" (٢).

وقال أيضاً: "تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة" (٣) بل قد غدا النحو أهم علوم العربية وأكثرها حاجة في الكلام، قال بعض أهل العلم: "الذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو؛ إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة. وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير، بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسد إليه؛ فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر؛ فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة؛ إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة" (٤).

نقول: وإذا كان النحو ذا أهمية كبيرة في مناحي القول والكتاب؛ فإن أهميته

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧).

(٢) المحجة للقراء السبعة (١/٣٤٤).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥).

(٤) تاريخ ابن خلدون (١/٧٥٣).



والحاجة إليه في معرفة الإسلام وفهم القرآن والحديث أشد حاجة وأعظم أهمية
وأكد مطلباً.

قال الجرجاني -وهو يرد على المهوّنين من شأن النحو-: "وأما زهدهم في النحو
واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من
صنيعهم في الذي تقدّم، وأشبهه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله، وعن معرفة
معانيه؛ ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علم
أن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن
الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين
نقصان كلام ورحمته حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم
حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غلط في الحقائق نفسه،
وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه، ولم ير أن
يستقيه من مصبه، ويأخذه من معدنه، ورضي بالتقصير والكمال يعرض له، وآثر
الغبينة وهو يجد إلى الربح سبيلاً" (١).

وقال أبو القاسم الأصفهاني: "النحو نصاب العلم ونظامه، وعموده وقوامه، ووشي
الكلام وحلته، وجماله وزينته، ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين، ومن تلاهم
من التابعين، يحضون على تعلم العربية وحفظها، والرعاية لمعانيها؛ إذ هي من الدين
بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيم على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله -عليه
السلام- وظائف طاعته، وشرائع أمره ونبيه" (٢) (٣).

وقال الشافعي: "تعلموا النحو؛ فإنه والله يزري بالرجل أن لا يكون فصيحاً، ولقد
بلغني أن رجلاً دخل على زياد ابن أبيه فقال له: أصلح الله الأمير إن أبينا هلك،
وإن أخينا غصبنا على ما خلفه لنا. فقال له زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما
ضاع من مالك" (٤).

وقال عمرو بن العلاء: "تعلموا النحو؛ فإنه زيادة في العقل، ونمو في المروءة، وهو

(١) دلائل الإعجاز (٢٨/١).

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٥٥/١).

(٣) تقييد الخطيب لغويا (٢٩-٣٣).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩٥/١٩).



من أجلّ مراتب الشرف، وما الناس الى شيء من الأدب أحوج منهم إلى النحو الذي به تقويم ألسنتهم التي يتحاورون بها الكلام، ويستخرجون الغوامض من العلوم الخبأة، ويجمعون ما تفرق منها" (١).

هـ- نسبته:

ينتسب النحو إلى العلوم العربية الاثني عشر التي جمعها بعضهم بقوله:
نَحْوٌ وَصَرَفٌ عَرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَةٌ ثُمَّ اشْتَقَاقٌ وَقَرَضُ الشَّعْرِ إِشَاءُ
كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطِّ قَافِيَةٌ تَارِيحٌ هَذَا لِعِلْمِ الْعَرَبِ
وبينه وبين سائر العلوم الأخرى التباين.

ز- واضعه:

المشهور أن واضعه هو: أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكثاني (٦٩هـ).

" قال محمد بن إسحاق: زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي" (٣).

وقال " أبو العباس المبرد: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمّن نهج له الطريق، فقال: تلقيته عن علي بن أبي طالب" (٤).

قال ناصر الدين بن المنير في رثاء النحوي أبي الحسن علي ابن عصفور:

أَسَدُ النَّحْوِ إِلَيْنَا الدَّوْلِيُّ = عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَطْلِ
بَدَأَ النَّحْوَ عَلِيٌّ وَكَذَا = قَلْبٌ بِحَقِّ: خَتَمَ النَّحْوَ عَلِيٌّ (٥).

وأما عن سبب وضعه له فهناك روايات متعددة، منها:

قال القفطي: " وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ - يعنون النحو- فقال:

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣/ ١٠٥).

(٢) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٤٢٢).

(٣) الفهرست (ص: ٥٩).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٥٥).

(٥) بغية الوعاة (٢/ ٢١٠).



لقت حدوده من علي بن أبي طالب- عليه السلام-. وكان أبو الأسود من القراء،
قرأ على أمير المؤمنين علي- عليه السلام.

وقد اختلفت روايات الناس في سبب وضعه النحو؛ فمن ذلك ما تقدم ذكره،
ومنه ما روي أنه جاء إلى زياد قوم فقالوا: أصلح الله الأمير! توفي أبانا وترك بنون.
فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادع لي أبا الأسود؛ فقال: ضع للناس العربية.

وقيل: إنه كان استأذنه في وضع كتاب، فنهاه، فلها سمع هذا أمره بوضعه. وقيل:
إن زياد ابن أبيه قال لأبي الأسود: إن بني يلحنون في القرآن، فلو رسمت لهم
رسماً. فنقط المصحف. فقال: إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم، فلو وضعت
لهم كلاماً. فوضع العربية.

وقيل: إن ابنة لأبي الأسود قالت له: يا أبت، ما أشد الحر؟! -في يوم شديد الحر-
فقال لها: إذا كانت الصقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك. فقالت: إنما أردت
أن الحر شديد. فقال لها: فقولي إذن: ما أشد الحر! والصقعاء: الشمس.

وقيل: إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسن السماء؟! قال: أي
بنية، نجومها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها؛
فقال: إذا فقولي: ما أحسن السماء! فحينئذ وضع كتاباً. قال أبو حرب بن أبي
الأسود: أول باب رسم أبي من النحو: باب التعجب. وقيل: أول باب رسم باب
الفاعل والمفعول، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم.

قيل: وأتى أبو الأسود عبد الله بن عباس، فقال: إني أرى السنة العرب قد
فسدت؛ فأردت أن أضع شيئاً لهم يقومون به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو؛ أما
إنه حق، واستعن بسورة يوسف" (١).

ويقال: "إن الذي رآه أبو الأسود ونكره، أنه مرّ به سعد- وكان رجلاً فارسياً من
أهل نوبندجان- كان قدم البصرة مع جماعة من أهله، فادّعوا لقدماءة بن مظعون
أنهم أسلموا على يديه؛ فإتّهم بذلك من مواليه. ولما مرّ سعد بأبي الأسود- وكان
يقود فرساً له- قال له أبو الأسود: ما لك لا تركبه يا سعد؟

قال: إن فرسي ظالماً. وأراد أن يقول: ظالع. قال: فضحك به بعض من حضر،

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ٥٠).



فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام! فوضع باب الفاعل والمفعول" (١).

وهناك قول آخر: أن واضعه غير أبي الأسود؛ قال ابن النديم: "وقال آخرون: رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال: الليثي. قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة عن ثعلب أنه قال: روى ابن لهيعة عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء، وكذا حدثني الشيخ أبو سعيد رضي الله عنه، وحدثني أيضاً قال: كان نصر بن عاصم الليثي أحد القراء والفصحاء، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء والناس" (٢).

ح- اسمه:

علم النحو، وعلم الإعراب، ويقال له: علم العربية، من باب تسمية الجزء باسم الكل لأهميته.

"وقد سمي النحو بهذا الاسم؛ لأن من معاني النحو لغةً: القصد، فسمي النحو بذلك؛ لأن المتكلم ينحو -أي: يقصد- بتعلمه كلام العرب (٣).

وقالوا كذلك: إن الكلام ينقسم قسمين: كلام ملحون، وكلام غير ملحون؛ فالملحون هو الذي لحن به عن القصد، وكذلك معنى اللحن، إنما هو العدول عن قصد الكلام إلى غيره، وما لم يكن ملحوناً فهو على القصد، وعلى النحو، ومن ذلك سمي النحو نحواً، والمستقيم من طريق النحو هو: ما كان على القصد سالماً من اللحن. وقيل: سمي بذلك؛ لأن أبا الأسود لما وضع قواعده الأولى قال للناس: انحوا نحوه، فسمي نحواً.

وقيل: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه روي عنه أنه ألقى إلى أبي الأسود رقعة فيها كلام في أصول النحو فقال له: "انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع لك" ثم عرض عليه أبو الأسود ما وقع له فاستحسنه علي وقال: "ما أحسن هذا النحو الذي نحوته! فلذلك سمي نحواً" (٤) (١).

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ٤١).

(٢) الفهرست (ص: ٥٩).

(٣) المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف (ص: ١١).

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٥/١٧).



وقيل: "إن علياً رضي الله عنه لما أشار إلى أبي الأسود الدؤلي أن يضعه، وعلمه الاسم والفعل والحرف وشيئاً من الإعراب. قال: انْحُ هذا النحو يا أبا الأسود" (٢).

"قال أبو جعفر بن رستم الطبري: إنما سمي النحو نحواً؛ لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام- وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو- قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع، فسمي ذلك نحواً" (٣).

ط- استمداده:

استمد علم النحو من اللغة العربية، واستنبطت قواعده من كلام الله وكلام رسوله، وأقوال العرب السابقين شعرها ونثرها.

ي- حكمه:

قال العلماء: تعلم النحو فرض كفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين.

وقد يتعين على من يتصدر للتفسير والحديث وبيان الشريعة للناس. فقد "سمع أبو عمرو أبا حنيفة يتكلم في الفقه ويلحن، فأعجبه كلامه، واستقبح لحنه، فقال: إنه لخطاب، لو ساعده صواب. ثم قال لأبي حنيفة: إنك أحوج إلى إصلاح لسانك من جميع الناس" (٤).

وقد تحدث عن ذلك بعض العلماء:

قال ابن الأثير: "أما علم النحو فإنه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أجد في تعليم الخط، وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي، ليأمن معرفة اللحن" (٥).

وقال ابن الصلاح: "فحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص

(١) ثقيف الخطيب لغويا (٢٥).

(٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/٢٦٥).

(٣) الفهرست (ص: ٥٩).

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/٥٥).

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/٤١).



به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما" (١).

وقال ابن حزم: "فمن لم يعلم النحو واللغة، فلن يعلم اللسان الذي به بين الله لنا ديننا وخاطبنا به ومن لم يعلم ذلك فلن يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولا بد منه على الكفاية كما قدمنا، ولو سقط علم النحو واللغة لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام، ولو سقطا لسقط الإسلام. وأما من وسم اسمه باسم العلم والفقاه وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به، وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم" (٢).

وقال السيوطي في شرح ألفيته: "وقد اتفق العلماء على أن النحو يُحتاج إليه في كل فن من فنون العلم لاسيما التفسير والحديث".
وقال خالد الأزهري في أول إعراب ألفية ابن مالك: "إن معرفة الإعراب من الواجبات التي لا بد لكل طالب علم منها، ومن المهمات التي لا يستغني الفقيه عنها" (٣).

وقال ابن تيمية: "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعرّبوا القرآن؛ فإنه عربي".

وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم" وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، وفقه

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص: ١٢٠).

(٢) رسائل ابن حزم (١٦٢/٣).

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك "مقدمة المحقق" (١٣٧/١).



العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله" (١).
ويقول الشاطبي عن علوم العربية ومنها علم النحو: "الشريعة عريية، وإذا كانت عريية؛ فلا يفهمها حتى يفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط، ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطاً؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولاً" (٢).

وقال أيضاً عن القرآن: إنه: "عربي ولسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة" (٣).

ك - مسائله :

مسائل النحو: أبوابه التي يتضمنها من مباحث الإعراب والبناء والجوازم والنواصب وغير ذلك.

الثاني: نشأة علم النحو:

كان العرب عند بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد وصلوا إلى ذروة الرقي اللغوي، وسماء السمو البياني، وغدوا يرضعون العربية النقية عن يبتهم السليمة كما يرضعون اللبن عن أمهاتهم، فنزل القرآن بلغتهم التي بها ينطقون، فعرفوه ووعوه، وأدركوا مراميه بعد أن فهموا معانيه، فلم يشتبه عليهم الفاعل بالمفعول، ولا الفعل بالاسم، ولا الأمر بالنهي، وغير ذلك من القوالب المعينة على فهم المعاني.
غير أن رسالة هذا الدين لما كانت عالمية فقد خالط العرب الأتباع غيرهم من الأعاجم فبدأ انحراف اللسان في تلك البيئة الفصيحة يطل على السنة أولئك

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٥٢٧).

(٢) الموافقات (٥/٥٣).

(٣) الموافقات (٢/١٠٢).



المسلمين الجدد، وهم معذورون بعجمتهم.

ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان في الصحابة -رضي الله عنهم- بلال الذي كان يرتضخ لُكنة حبشية، وصهيب الذي كان يرتضخ لُكنة رومية، وسلمان الذي كان يرتضخ لُكنة فارسية. أي: أن كلا منهم كان ينزع إلى لغة قومه، ولا يستمر لسانهم على العربية استمراراً.

وفي عهد الصحابة خرج الإسلام عن الجزيرة العربية إلى بلاد العجم من الفرس والروم، فبدأت السجية العربية تخف، وملكتها تتغير، وقد كان لذلك التغير أسباب:

أولها: دخول بعض العجم الإسلام واختلاطهم بالمجتمعات العربية الصرفة، مما بث فيها القول الملحون الذي غزا السليقة العربية في عقر دارها، "والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها لجنوحها إليه باعتياد السمع" كما قال ابن خلدون (١).

بيد أن بعض أولئك الأعاجم -عبر التاريخ- تعلم العربية وبرع فيها حتى صار يعلم بعض العرب.

ثانيها: ذهاب المسلمين الفاتحين إلى بلاد العجم واستقرار بعضهم فيها، مما جعل بعض أولئك العجم يتعلمون العربية بالسمع، ولكنها عربية ملحونة، فكان أولئك الفاتحون يسمعون العربية التي ينتشر فيها اللحن.

ثالثها: أن بعض العرب الفصحاء صارت لهم زوجات وجوار من نساء العجم وولدن لهم، فجاء الجيل الجديد هذا قترى على أيدي تلك الأمهات على عربية ملحونة.

ومن هنا بدأ اللحن يشيع في المجتمعات الإسلامية.

قال الإشبيلي: "ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففسد الفساد

(١) تاريخ ابن خلدون (١/٧٥٤).



في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها" (١). إن هذا الغزو الذي اجتاحت السليقة العربية أقلق ذوي الغيرة عليها، بل استثار الخوف على دين الله القائم على الكتاب والسنة، حيث خافوا بذهاب الملكة أن يذهب فهم القرآن والسنة، ففكروا ملياً في وضع قانون يضبط اللساني العربي، ويحافظ على سلامة الفهم للغة القرآن، فاجتمع الرأي على تأسيس علم سمي فيما بعد بالنحو.

قال ابن خلدون: "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردةً شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل" أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، اصطلاحوا على تسميتها بعلم النحو" (٢).

ثم إن النحو العربي قد مر في تقييده والتأليف فيه بمراحل أربع - كما قال بعض الباحثين المعاصرين (٣) -:

المرحلة الأولى: الوضع والتكوين، وتبدأ هذه المرحلة من عصر واضع النحو أبي الأسود إلى أول عصر الخليل بن أحمد.

ويمكن تقسيم علماء هذه المرحلة إلى طبقتين: الطبقة الأولى: وهي التي أخذت عن أبي الأسود واستمرت في تثير ما تلقته عنه، ووفقت إلى استنباط كثير من أحكامه، وقامت بنشره بين الناس، وكان من أفذاذ هذه الطبقة: عنبسة بن معدان الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر.

وكان جل مجهود هذه الطبقة السماع والحفظ والرواية لذلك فحسب.

(١) طبقات النحويين واللغويين (ص: ١١).

(٢) تاريخ ابن خلدون (٧٥٤/١).

(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: ٣٢) وما بعدها.



الطبقة الثانية: كانت أكثر عدداً من سابقتها، فقد كانت أوفر منها حظاً في هذا الشأن؛ إذ وطأت لها سبيله فازدادت المباحث لديها، وأضافت كثيراً من القواعد، ونشأت حركة النقاش بينها، فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط ما هياً لها وقتها، واستطاعت التصنيف فدونت فيه بعض الكتب المفيدة.

ومن أعلام هذه الطبقة: عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء صاحب التصانيف الكثيرة، وعيسى بن عمر الثقفي صاحب الكتابين في النحو: "الجامع، والإكمال" وقد نوه عن فضلتهما الخليل بن أحمد بقوله:

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس

غير أن الكتابين لم يصلنا إلينا.

المرحلة الثانية: النشوء والنمو، وتبدأ هذه المرحلة من عهد الخليل بن أحمد البصري، وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي إلى أول عصر المازني البصري وابن السكيت الكوفي.

وكانت هذه المرحلة مرحلة جمع وتقعيد وتأليف ومنافسة بين البصريين والكوفيين.

ومن أعلام هذه المرحلة: الخليل وتلميذه النجيب سيبويه الذي ألف مصنفه الخالد "الكتاب".

ومن أعلامها أيضاً: أبو جعفر الرؤاسي وابن السكيت والكسائي والفراء.

المرحلة الثالثة: النضوج والكمال، وتمتد هذه المرحلة من عهد أبي عثمان المازني البصري إمام الطبقة السادسة ويعقوب ابن السكيت الكوفي إمام الرابعة، إلى آخر عصر المبرد البصري شيخ السابعة، وثعلب الكوفي شيخ الخامسة.

وفي هذه المرحلة كان هناك تفصيل لما أجمل، وتوضيح لما أشكل، وفصل النحو عن الصرف، واتساع في المناظرات النحوية فتمت أصول النحو وانتهى الاجتهاد فيه بين البصريين والكوفيين على يدي الإمامين: المبرد خاتم البصريين، وثعلب خاتم الكوفيين.

ومن كتب هذه المرحلة: المقتضب للمبرد، والفصيح وإعراب القرآن لثعلب.



المرحلة الرابعة: الترجيح والبسط، وفي هذه المرحلة برز علماء نظروا في قواعد المذهبين البصري والكوفي فرجوا بينهما فاصطفوا مسائل ذات بال مزيجاً من المذهبين، على أنهم قد أسلمهم هذا الاستقراء البالغ خلال تلك الأيام إلى العثور على قواعد أخرى من تلقاء أنفسهم لا تمت بصلة إلى المذهبين تولدت لهم من اجتهادهم قياساً وسماعاً. فولد من ذلك المذهب النحوي البغدادي. ثم انتشر التأليف في النحو منذ ذلك الوقت إلى عصرنا هذا (١).

الثالث: اللحن معناه، وابتدأه، والتحذير منه:

من عدل عن طريق النحو الصحيح فهو لحن، فإن كثر ذلك العدول منه فهو رجل لحانة، وذلك الانحراف منه لحن، فاللحن في علم النحو إذن هو: الخطأ في تحريك حروف آخر الكلمة من ضم وكسر وفتح وسكون. ولم يكن هذا الكائن أيام سمو العربية إلا منعماً، ثم ولد بعد ذلك فصار غريباً منبوذاً واللغة مازالت في عزها، ثم لما كثر نسله لم يستغرب حينئذ، بل عندما انقرض جيل العربية سليقةً، وعاش جيل اللحن، وطال زمنه؛ أضخى في المجتمعات العربية هو المعرفة، والحديث بالعربية من غير لحن غدا هو النكرة!

لقد نزل القرآن الكريم والناس بعيدون عن اللحن، فلها مات رسول الله عليه الصلاة والسلام وتبعه بقليل خليفته الراشد أبو بكر رضي الله عنه، وجاءت إمارة عمر رضي الله عنه واتسعت رقعة الدولة الإسلامية؛ طفق الناس يسمعون كلمة هنا وكلمة هناك جرى فيها اللحن، بل لم تسلم من ذلك قراءة القرآن من إحداث اللحنين:

فقد روي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجرّ (رسوله) متوهماً عطفه على المشركين، فقال: أو يبرأ الله من رسوله؟! فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر ألا يُقْرَأَ القرآن إلا من يحسن العربية (٢).

وروي أيضاً أن كاتباً لأبي موسى الأشعري أرسل إلى عمر كتاباً وفيه: من أبو

(١) ينظر: تثقيف الخطيب لغويا (٢٣-٢٨).

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١/٢٠٦).



موسى...! فلما وصل الكتاب عمر كتب إليه عمر: أن قنع كاتبك سوطاً؛ معاوية على لحنه (١).

ولما جاءت خلافة علي رضي الله عنه وكان اللحن قد خرج عن السيطرة سمع أبو الأسود الدؤلي ابنته ليلة تقول له: يا أبت، ما أحسن السماء، قال نجومها، فقالت: إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها، فقال قولي: ما أحسن السماء (٢).

وفي رواية أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له: يا أبت، ما أشد الحرّ فقال: شهر ناجر يعني: شهر صفر؛ فقالت: يا أبت، إنما أخبرتك ولم أسألك، فقال قولي: ما أشد الحرّ! (٣).

ثم لم يزل الأمر في تطور خطير حيث وصل إلى بعض الأمراء في بني أمية ولم يعد مقتصرًا على المستعربين أو سوقة الناس، وكان ممن أثر عنه لحن كثير: الوليد بن عبد الملك؛ فقد دخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشرف قريش فقال له الوليد: من ختتك؟ قال له: فلان اليهودي، فقال: ما تقول؟ ويحك! قال: لعلك إنما تسألني عن ختني يا أمير المؤمنين، هو فلان بن فلان (٤).

والختن: أقارب زوجة الرجل وزوج ابنته. ولما لحن الوليد فهم الرجل أول مرة أنه يسأله عن الذي قام بختنه.

بل كان الوليد هذا لا يستطيع تجنب اللحن حتى على المنبر، فقد ذكره أبو الزناد يوماً فقال: "كان لحنًا، كأني أسمعه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا أهل المدينة!" (٥).

بل كان لا يستطيع تجنبه حتى في قراءة بعض آيات القرآن: فقد قرأ يوماً على المنبر: "يا ليتها كانت القاضية" بضم التاء المربوطة، فقال عمر بن عبد العزيز - وكان

- (١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٢٠٨/١).
- (٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: ٢٤).
- (٣) سبب وضع علم العربية (ص: ٤٢).
- (٤) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: ١٧).
- (٥) تاريخ الإسلام (٤٩٩/٦).



تحت المنبر:- يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك (١).
ولما كان الأعراب يسمعون ذلك اللحن عندما يزورون الحواضر يؤلمهم أيما إيلام،
وربما يتندرون باللحنين:

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ -بكسر اللام- وهو يريد السؤال عن أهله،
فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه، فقال: صلباً إن شاء الله (٢).
وسمع أعرابي مؤذناً يقول: أشهد أن محمداً رسول الله بنصب رسول، فقال: ويحك!
يفعل ماذا؟ (٣).

والسبب أن الجملة بنصب رسول ناقصة تحتاج إلى خبر.
ولا ريب أن العرب انحلّص عندما بدأ اللحن في الظهور كانوا يبغضونه وينزلون
من قدر صاحبه؛ قال عمر بن عبد العزيز: "إن الرجل ليكهنني في الحاجة يستوجبها
فيلحن فأردّه عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن،
ويكهنني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها؛ التذاذاً لما أسمع من
كلامه" (٤).

وكان يقول: "أكاد أضرس إذا سمعت اللحن" (٥).
وكان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما
أدب عليه، وحين يسمع اللحن يرد على صاحبه؛ قال بشر بن مروان- وعنده عمر بن
عبد العزيز- لغلام له: ادع لي صالح. فقال الغلام: يا صالحا. فقال له بشر: ألق منها
ألف. فقال له عمر: وأنت فزد في الفك ألفا (٦).

إن اللحن وإن كان قبيحاً في عموم الكلام إلا أنه في قراءة القرآن والحديث النبوي
وتعليم الدين أشد قبحاً.
فما أسوأ ذلك المتكلم الذي يقف على أسماع الناس-سواء كان خطيباً أم محاضراً

(١) الكامل في التاريخ (٧١/٤).

(٢) من تاريخ النحو العربي (ص: ١٥).

(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: ١٧).

(٤) الأضداد لابن الأنباري (ص: ٢٤٤).

(٥) الأضداد لابن الأنباري (ص: ٢٤٥).

(٦) البيان والتبيين (١٤/١).



أم إعلامياً- ثم يتلو آيات من القرآن على غير ما أنزلها الله، فيرفع من كلماتها منصوبها، وينصب مرفوعها، ويجر ما وجب رفعه أو نصبه، ويحرك ما كان ساكناً ويسكن ما كان متحركاً.

وإذا كان القبح للحن في الخطاب فإنه في الكتابات أشد قبحاً؛ لأنه يدل عن جهل كبير، فالإنسان في حال الكتابة يتروى ويراجع ما كتب بخلاف المتكلم على البديهة.

إننا عندما نطالب اليوم بتجنب الحن فلا نريد أن يعرب المرء في جميع كلامه، ولكننا نريد البعد عن الحن في الخطاب والكتاب، أما الكلام الذي يدور بين المرء وغيره في بيته أو عمله أو سوقه أو مزحه أو غير ذلك فلأللسنة أن تتحدث على سجيته ولهجتها كيفما شاءت.

قال القلقشندي: "والذي يقتضيه حال الزمان، والجري على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وفي الشعر والكلام المسجوع، وما يدون من الكلام، ويكتب من المراسلات ونحوها، ويغتفر الحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم؛ وعلى ذلك جرت سنة الناس في الكلام مذ فسدت الألسنة، وتغيرت اللغة حتى حكي أن الفراء -مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو- دخل يوماً على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه؛ فقال جعفر بن يحيى: يا أمير المؤمنين، إنه قد لحن -فقال الرشيد للفراء أتلحن يا يحيى؟ فقال يا أمير المؤمنين! إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضرة الحن، فإذا حفظت أو كتبت لم أحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحت -فاستحسن الرشيد كلامه. وقد قال الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»: «ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها؛ فإنك إن غيرتها بأن لحت في إعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وإن سمعت نادرة من نوادر العوام وملحة من ملحهم فإياك أن تستعمل لها الإعراب، أو تتخير لها لفظاً حسناً؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها التي



وضعت لها، ويذهب استطابهم إياها (١) (٢).
وقال ابن عبد ربه: " وذلك أنه من حكي نادرة مضحكة، وأراد أن يوفي حروفها
حظها من الإعراب، طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها" (٣).
وقد حذر الغياري على العربية والإسلام من اللحن أشد التحذير، وبوبوا في
مصنفاتهم أبواباً خاصة بهذه المسألة:

فهذا الخطيب البغدادي يبوب في كتابه "الجامع لأخلاق الراوي" باب: " من
عَابَ اللَّحْنَ وَشَدَّدَ فِيهِ" وساق نقولاً في ذلك، نختار منها الآتي:
كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ: "اللَّحْنُ فِي الرَّجْلِ السَّرِيِّ كَالْجُدْرِيِّ فِي الْوَجْهِ".
وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّلْحِيِّ: "أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَضْرِبُ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ
عَلَى اللَّحْنِ".

وعن عمرو بن دينار: "أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ كَانَا يَضْرِبَانِ أَوْلَادَهُمَا عَلَى اللَّحْنِ".
وقال سليمان بن أبي شيخ: " كُنْتُ عِنْدَ أَبِي شَيْبَةَ وَعِنْدَهُ رَقَبَةٌ وَكَانَ يَلْحَنُ لِحْنًا
شَدِيدًا، فَقَالَ: رَقَبَةٌ: "لَوْ كَانَ لِحْنُكَ مِنَ الذُّنُوبِ كَانَ مِنَ الْعِظَائِمِ" (٤).
وابن عبد ربه في " عقده" بوب باباً: " في الإعراب واللحن" وساق أقولاً
وحكايات نختار منها الآتي:

مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو، فقال لهم: لئن أصلحتموه إنكم لأول
من أفسده.

قال أبو عبيدة: ليته سمع لحن خالد بن صفوان، والفتح بن خاقان، والوليد بن عبد
الملك.

وقيل لعبد الملك: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيبني ارتقاء المنابر
وتوقع اللحن.

وقال الحجاج لابن يعمر: أسمعني لحن؟ قال: ألا ربما سبقك لسانك ببعضه في آن
وآن. قال: فإذا كان ذلك فعرفني.

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١/٢١١).

(٢) تقييف الخطيب لغويا (٣٤ - ٣٨).

(٣) العقد الفريد (٢/٣٠٩).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/٢٨-٢٩).



وقال عبد الملك بن مروان: الإعراب جمال للوضع، واللحن هجنة على الشريف
وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.
وقال رجل للحسن: إن لنا إماماً يلحن. قال: أميطوه.
وقال رجل للحسن: يا أبو سعيد، فقال: أحسب أن الدوانيق شغلتك عن أن تقول:
يا أبا سعيد^(١).

١٤٤٥/١/٤ هـ، ٢٢/٧/٢٢ م ٢٠٢٣.

(١) ينظر: العقد الفريد (٢/٣٠٧-٣٠٩).



المحتويات

أولاً: المبادئ العشرة لعلم النحو:	٣
أ- حد النحو:	٣
ب- موضوعه:	٥
ج- ثمرته:	٥
د- فضله:	٨
هـ- نسبته:	١١
ز- واضعه:	١١
ح- اسمه:	١٣
ط- استمداده:	١٤
ي- حكمه:	١٤
ك- مسأله:	١٦
الثاني: نشأة علم النحو:	١٦
المرحلة الأولى: الوضع والتكوين،	١٨
المرحلة الثانية: النشوء والنمو،	١٩
المرحلة الثالثة: النضوج والكمال،	١٩
المرحلة الرابعة: الترجيح والبسط،	٢٠
الثالث: اللحن معناه، وابتدأؤه، والتحذير منه:	٢٠

